

التراث الفكري والمعنوي للإمام الخميني

المكان: طهران، مرقد الإمام الخميني (قدس سره)

الزمان: 1390/3/14 ش. 1432/7/1. 2011/6/4 م.

الحضور: حشود غفيرة من أبناء الشعب الإيراني ومن مختلف بلدان العالم

المناسبة: الذكرى الثانية والعشرون لرحيل الإمام الخميني (قدس سره)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى آله الأطييين
الأطهرين المنتجبين، سيما بقية الله في الأرضين.

سلام الله ورحمته على الروح المطهرة للإمام الجليل وشهداء الثورة الإسلامية. مرة أخرى يُحيي شعب إيران
الذكرى السنوية لإمامنا الجليل بتجديده هذه الذكرى باتجاه مدرسة الإمام وطريقه. يوم الرابع عشر من
خرداد من كل عام فرصة لطرح جانب وُبعد من أبعاد الحياة الطاهرة للإمام وخطه المبارك النير. وفي هذه
السنة، تزامن هذا اليوم مع اليوم الأول من شهر رجب المبارك. شهر رجب شهر الرحمة والبركة الإلهية. روي
عن رسول الإسلام الكريم أنه قال: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان» (1). هذا الشهر وشهر شعبان ممرّ
المؤمنين إلى شهر الضيافة الإلهية شهر رمضان المبارك.

وقد اقترنت ذكرى الإمام الخميني (قدس سره) هذا العام مع حدث مهم آخر ألا وهو الصحوة الإسلامية.
الحدث والملحمة التي كان ينتظرها إمامنا الجليل ويتمناها، وكان قد تفرس بها وأخبر عنها. كان الإمام الجليل
قد تنبأ بصحوة الشعوب المسلمة وقد تفضل الله تعالى وتحقق هذا التفرس، كما تنبأ بسقوط الاتحاد السوفيتي
وحققه الله تعالى.

كلمتي اليوم تنقسم إلى جزئين وأتمنى أن أستطيع ذكر هذين الجزئين خلال مدة قصيرة. الجزء الأول مراجعة
للدروس الذي أعطانا إياه إمامنا الجليل ومراجعة لمدرسته الباقية وهي دخر للشعب الإيراني ورصيد استطاع

هذا الشعب بالاعتماد عليه أن يتجاوز المنعطفات الصعبة التي عادة ما تعترض سبيل شعب له مثل هذه المبادئ. والجزء الثاني نظرة لقضايا المنطقة.

حول مدرسة الإمام الخميني يعلم الشعب الإيراني تماماً أن حبّ الشعب للإمام ليس مجرد آصرة قلبية وعاطفية وشعورية، هذا رغم أن حبّ الإمام يموج في القلوب من الناحية الشعورية والعاطفية. لكن هذا الجانب لا يمثل القضية كلها، إنما حبّ الشعب للإمام الجليل بمعنى قبول مدرسته كطريق نير وخط واضح لحركة الشعب الإيراني العامة. إنه دليل نظري وعملي يوصل البلد والشعب إلى العزة والتقدم والعدالة. وقد كان هذا هو الواقع طوال الأعوام الـ 32 الماضية. أي إننا حينما حالقنا التوفيق والنجاح كان ذلك بفضل العمل بتوصيات الإمام، وحينما استطعنا السير على ما أشار إليه الإمام حققنا نجاحات وتوفيقات كبيرة. الشعب ينظر بهذه العين لطريق الإمام وخطه وتراثه الخالد. لقد استطاع شعبنا خلال هذه الأعوام الثلاثين الصمود أمام أشد المؤامرات. كانت هناك مؤامرات عسكرية أمام الشعب الإيراني ومؤامرات أمنية ومؤامرات اقتصادية - حالات الحظر هذه التي فرضت طوال الأعوام الثلاثين الماضية - وكانت هناك مؤامرات إعلامية - الإمبراطورية الإعلامية والدعائية الواسعة كانت تعمل وتحرض بكل جهدها ضد الشعب الإيراني - ومؤامرات سياسية. وقد وقف الشعب الإيراني بوجه هذه المؤامرات بفضل مدرسة الإمام وطريقه.

مدرسة الإمام رزمة ومجموعة كاملة لها أبعادها، وينبغي مشاهدة وملاحظة هذه الأبعاد مع بعضها. البعدان الأصليان في مدرسة إمامنا الجليل هما بعد المعنوية والعقلانية. بعد المعنوية معناه أن إمامنا الجليل لم يكن يسير في دربه اعتماداً على العوامل والظواهر المادية فقط، إنما كان من أهل الارتباط بالله وأهل السلوك المعنوي والتوجه إلى الله والتذكر والخشوع والذكر. وكان مؤمناً بالعون الإلهي، وأمله بالله تعالى كان آملاً لا متناهياً. وفي بعد العقلانية كان الإمام يستخدم العقل والتدبير والتفكير والحسابات ويأخذ هذه العناصر بنظر الاعتبار. وسوف أذكر بعض النقاط حول كل واحدة من هذه الأمور.

وثمة بعد ثالث مستمد من الإسلام أيضاً شأنه شأن المعنوية والعقلانية. عقلانية الإمام كانت مستقاة من الإسلام، ومعنويته أيضاً كانت معنوية إسلامية وقرآنية، وهذا البعد أيضاً مستلهم من أصل القرآن وأساس الدين ألا وهو بعد العدالة. ينبغي النظر لهذه الأبعاد مع بعضها. فالتشديد على أحد هذه الأبعاد وعدم الاهتمام للأبعاد الأخرى حالة تجرّ اجتماع إلى الطريق الخطأ والانحراف. هذه المجموعة وهذه الرزمة الكاملة هي التراث الفكري والمعنوي للإمام الخميني. الإمام الجليل نفسه كان في سلوكه يعمل بالعقلانية وبالمعنوية، كما كان مهتماً من أعماق وجوده بالعدالة.

وسأذكر لكم نماذج عدة من عقلانية الإمام. النموذج الأول هو اختياره الديمقراطية وأصوات الشعب للنظام السياسي في البلاد، أي الاعتماد على أصوات الشعب. انتخاب الديمقراطية من المظاهر البينة لعقلانية الإمام في مدرسته المنقذة الباعثة على الحياة. منذ قرون والحكومات الفردية متسلطة على بلادنا وحتى في الفترة التي كانت ثمة في إيران حالة دستورية وكان القانون نافذاً في البلاد حسب الظاهر، كان استبداد ودكتاتورية الحقبة البهلوية أشد في الواقع والذع وأساء مصاباً من استبداد الماضين. في بلد يمثل هذه السوابق نجح الإمام الجليل في تحويل مشاركة الشعب والانتخابات الشعبية إلى حقيقة مؤسساتية راسخة. لم يعرف شعبنا طعم الانتخابات الحرة باستثناء فترات قصيرة جداً في صدر الثورة الدستورية. في مثل هذا البلد وفي مثل هذه الأجواء كرّس إمامنا الجليل الانتخابات في البلاد مؤسساتياً منذ الخطوة الأولى. سمعتم مراراً أنه طوال هذه الأعوام الـ 32 التي مضت على انتصار الثورة الإسلامية أقيمت حوالي 32 أو 33 انتخابات في البلاد، حيث جاء الناس إلى صناديق الاقتراع بحرية وأدلو بأصواتهم وشكلوا مجلس الشورى والحكومة ومجلس الخبراء ومجالس البلدية وما إلى ذلك. هذا هو أبرز نماذج عقلانية الإمام الخميني (قدس سره).

نموذج آخر لعقلانية الإمام واعتماده على العقل والتدبير هو صلابته وعدم مرونته أمام العدو المهاجم. لم يتق الإمام بالعدو. بعد أن عرف عدو الشعب الإيراني وعدو هذه الثورة بصورة صحيحة وقف بوجهه كالجبل. الذين تصوروا ويتصورون أن مقتضى العقل هو أن يتنازل المرء أحياناً أمام العدو، كان الإمام يسير في الاتجاه المعاكس تماماً لتصوراتهم هذه. عقلانية الإمام والعقل الناضج القويم لهذا الرجل الإلهي كان قد أوصله إلى نتيجة فحواها أن أقل مرونة وتراجع ولين أمام العدو سوف يدفعه إلى التقدم. قلب العدو لا يلين بسبب تراجع الطرف المقابل في ميدان المواجهة. كل خطوة تراجع للشعب المناضل أمام الأعداء معناها تقدم الأعداء خطوة إليه وتسلبهم عليه. هذا من مظاهر عقلانية الإمام الخميني الكبير.

ومن المظاهر الأخرى لعقلانية الإمام بثه روح الثقة بالنفس والاعتماد على الذات في الشعب. طوال الأعوام والسنين ومنذ بداية هيمنة الغربيين ودخولهم إلى هذا البلد - أي منذ أوائل القرن التاسع عشر للميلاد بدأ الغربيون يتدخلون في إيران - كانوا دائماً يهينون الشعب الإيراني وينكلون به بواسطة عملائهم وأعوانهم وبتحليلات شتى. كانوا يذلون الشعب الإيراني ويوحون إليه الاعتقاد بأنه لا يستطيع وهو عاجز عن اتخاذ خطوات تقدمية علمية وليست لديه المقدرة على العمل والوقوف على قدميه. ساسة النظام البهلوي ومن كانوا قبلهم دأبوا على إهانة الشعب الإيراني. كانوا يوحون بأنه لو أمكن التطور ولو أمكن القيام بعمل كبير فيجب أن يقوم به الغربيون، والشعب الإيراني غير قادر على ذلك. وقد بث الإمام الجليل روح الثقة بالذات في مثل هذا الشعب وكان ذلك بداية تحوّل الشعب الإيراني. مظاهر تقدمنا في الميادين العلمية وفي المجالات

الصناعية وعلى مختلف أصعدة الحياة ترجع إلى هذه الثقة بالذات. شبابنا الإيراني وأصحاب الصناعة الإيرانيون والعلماء الإيرانيون والساسة الإيرانيون والمبلغون الإيرانيون يشعرون اليوم الاقتدار. الإمام العظيم هو الذي كرّس شعار «نحن قادرون» في أعماق روح هذا الشعب. هذا من المظاهر المهمة لعقلانية الإمام الجليل.

مظهر آخر لهذه العقلانية هو تدوين الدستور الإيراني. أمر الإمام خبراء الشعب عن طريق الانتخابات بأن يدوّنوا الدستور. الذين دونوا الدستور قاموا بهذا العمل بانتخاب الشعب. ولم يعين الإمام جماعة خاصة تكتب الدستور، إنما ترك هذا الأمر على عاتق الشعب، فانتخب الشعب خبراءه بتشخيصه ومعرفته، وقام الخبراء بتدوين الدستور. ثم عرض الإمام هذا الدستور مرة أخرى على أصوات الشعب وأقيم استفتاء الدستور في البلاد. هذا من مظاهر عقلانية الإمام الخميني. لاحظوا أن الإمام ثبت أسس النظام بهذه الصورة. سواء من الناحية الحقوقية أو من الناحية السياسية أو من حيث النشاط الاجتماعي ومن حيث التقدم العلمي أوجد الإمام أركاناً متينة يمكن على أساسها تشييد حضارة إسلامية عظيمة.

ومن جملة الأمور الدالة على عقلانية الإمام الكبير هو أنه أفهم الناس أنهم هم أصحاب البلد ومالكوه. البلد له صاحبه. هذه عبارة كانوا يقولونها أيام الحكومات الاستبدادية ويكررون أن للبلد أصحابه. وكان مرادهم من صاحب البلد الدكتاتوريين والمستبدين الذين يحكمون البلد. وقد أفهم الإمام الشعب أن للبلد صاحبه وصاحبه هو الشعب نفسه.

أما مظهر المعنوية لدى الإمام الجليل فهو بالدرجة الأولى إخلاصه. كان الإمام يقوم بالأعمال لله. منذ البداية كان يقوم بكل ما يشعر أنه من التكليف الإلهي. ولم يتوان عن التضحية في هذا السبيل. عمل الإمام بهذه الطريقة منذ بدء الكفاح في سنة (1341ش)¹ وكان يتقدم إلى الأمام حسب تكاليفه وواجباته. وقد ذكر للناس والمسؤولين مراراً هذا الدرس وهو أن المهم الواجب. فنحن نقوم بالواجب وتبقى النتائج وحصولها على الله. إذن المظهر المهم للمعنوية في سلوك الإمام هو إخلاصه. لم يقل ولم يفعل شيئاً من أجل أن يثني عليه فلان وفلان. وما قام به من أجل الله بارك الله تعالى فيه وأبقاه. هذه هي خصوصية الإخلاص. وكان الإمام يكرر هذه التوصية على المسؤولين. كان الإمام يأمرنا بأن نكون من أهل التوكل والثقة بالله وحسن الظن بالله، وأن نعمل لله. وكان هو من أهل التوكل والتضرع والتوسل والاستمداد من الله والعبادة. حينما كان المرء يرى

¹ 1962م.

الإمام الخميني بعد شهر رمضان كان يشعر بالنوارنية فيه على نحو ملموس. وكان ينتهز فرص الحياة للتقرب إلى الله تعالى وتطهير قلبه وروحه. وكان يأمر الآخرين ويقول: إننا في محضر الله، والعالم محضر الله، ومكان للتجليات الإلهية. كان يدل الجميع على هذا الطريق وكان هو نفسه من أهل مراعاة الأخلاق، ويأخذ بأيدي الآخرين إلى الأخلاق. الأخلاق جزء مهم من المعنوية في الإسلام، والأخلاق هي الابتعاد عن الذنوب، وعن التهم، وعن سوء الظن، وعن الغيبة، وعن سوء الطوية، وعن التفرقة بين القلوب. الإمام الخميني نفسه كان يراعي هذه الأمور ويوصي الناس والمسؤولين بمراعاتها. كان الإمام يوصينا بأن لا نصاب بالغرور، ولا نرى أنفسنا فوق الناس، ولا نعتبرها فوق النقد وخالية من العيوب. جميع المسؤولين رفيعي المستوى كانوا قد سمعوا من الإمام بأنه يجب أن نكون مستعدين لأن يسجلوا علينا عيوبنا ولا نقول عندها إننا فوق أن تكون لنا عيوب وفوق النقد. وقد كان الإمام كذلك. هو أيضاً قال مراراً في كتاباته - خصوصاً في أواخر عمره الشريف - وفي تصريحاته إنني أخطأت في القضية الفلانية. واعترف بأنه أخطأ في القضية الفلانية والفلانية، وهذا يستلزم درجة كبيرة من العظمة. يجب أن تكون روح الإنسان كبيرة حتى يستطيع أن يفعل ذلك وينسب الخطأ لنفسه. كان هذا الجانب المعنوي في شخصية الإمام وأخلاقه. وهذا من الأبعاد المهمة للدرس الذي تعلمنا الإمام إياه.

بعد العدالة بدوره بارز جداً في مدرسة الإمام. ومع أن العدالة تنبع بمعنى من المعاني من العقلانية والمعنوية، لكن ميزة بعد العدالة من وجهة نظر الإمام الجليل تجعله معروفاً أمامنا بنحو متبلور. منذ بدايات انتصار الثورة أصر الإمام على الاعتماد على الطبقات المستضعفة وكرر ذلك وأوصى بهم. عبارات «الحفاة» و«سكان الأكواخ» من العبارات التي تكررت كثيراً في كلمات الإمام. كان يصرّ على المسؤولين باجتناب الحالة الارستقراطية. كانت هذه من توصيات الإمام المهمة. ويجب أن لا ننسى هذا. آفة المسؤولية والمناصب في نظام يعتمد على أصوات الناس وإيمانهم هو أن يفكر المسؤولون برفاههم الشخصي وبمصالحهم وما يجمعونه لأنفسهم، وأن تستهويهم الحياة الارستقراطية ويتخطوا يميناً وشمالاً من أجلها. هذه آفة خطيرة جداً. وقد كان الإمام بمعزل عن هذه الآفة تماماً وأوصى المسؤولين مراراً بأن لا يميلوا للارستقراطية والبهرجة وسكن القصور ولا ينشغلوا بجمع المال ويكون لهم تواصلهم القريب مع الناس. نحن الذين كنا يومذاك من المسؤولين كان الإمام يحبّ أن نكون قريبين من الناس متعاشين معهم مستأنسين بهم، وكان يصرّ على إيصال الخدمات إلى أقصى أنحاء البلاد، وأن يتمتع الناس في المناطق النائية بالخدمات العامة في البلاد. هذه من خصائص بعد العدالة لدى الإمام الخميني. كان الإمام الجليل مصراً على أن ينتخب المسؤولون من بين الناس ومن صميم الناس وأن لا تكون التبعيات والمحسوبيات ملاكاً لتولي المسؤوليات. المحسوبيات على الشخصيات وعلى العوائل وحالة القربايات التي كانت بلاءً نزل بهذا البلد في العهدين القاجاري والبهلوي، كان إمامنا الجليل

يحذرننا منها أشد التحذير. أحياناً كان يقول في الشاء على مسؤول من المسؤولين إنه من صميم الناس. وكان يعتبر هذا ملاكاً. من وجهة نظر الإمام إن الاعتماد على الثروة وعلى القوة والتنفيذ لتولي المسؤوليات من الأخطار الكبيرة التي تهدد البلاد والثورة. هذه هي أبعاد خط الإمام.

إخوتي وأخواتي، أيها الشعب الإيراني العزيز، هذه المدرسة أخذت بأيدينا طوال الأعوام الـ 32 الماضية واجتازت بنا منعطفات خطيرة. لقد رفعت من مستوى عزتنا الوطنية وشرفنا الدولي. لقد تقدم البلد واقترب من أهدافه بفضل سيره في هذا الطريق وبمقدار مراعاته لأصول هذه المدرسة. ينبغي علينا المراعاة، ولكن مراعاة كل الجوانب مع بعضها. إذا أراد شخص بذريعة العقلانية عدم مراعاة التقوى أمام الأعداء والسير نحو التبعية لهم فهذا انحراف وخيانة. العقلانية في مدرسة إمامنا الكبير لا تستدعي أن نغفل عن مخادعات الأعداء وكيدهم ومخططاتهم العميقة، وأن نثق بهم ونتنازل أمامهم. كلما تنازل المرء أمام الأعداء فقد رصيده المعنوي العظيم داخل البلاد وبين أبناء الشعب.

وفي المقابل إذا سحقتنا الأخلاق باسم العدالة وباسم النزعة الثورية نكون أيضاً قد خسرتنا وانحرفنا عن خط الإمام. إذا أهنا إخواننا المؤمنين الذين يختلفون عنا فكرياً لكننا نعلم أنهم مؤمنون بأصل النظام وبالإسلام، وآذيناهم باسم النزعة الثورية والعدالة نكون قد انحرفنا عن خط الإمام. إذا أردنا باسم الثورية والسلوك الثوري أن نسلب الأمن من جزء من أفراد المجتمع والبلد نكون قد انحرفنا عن خط الإمام. ثمة في البلاد آراء وعقائد متنوعة. إذا انطبق عنوان إجرامي على تحرك معين أو كلام معين فإن هذا العنوان الإجرامي يجب أن يتابع بالطبع ومن واجب الأجهزة المسؤولة متابعة القضية وهي تقوم بذلك، أما إذا لم يكن العنوان إجرامياً وكان هناك شخص لا يريد إسقاط النظام ولا يريد الخيانة ولا يروم تنفيذ دساتير العدو في البلاد لكنه يختلف عنا في الذوق السياسي، فلا نستطيع حرمانه من الأمن والعدالة. «ولا يجرمنكم شئتان قوم على ألا تعدلوا». يأمرنا القرآن ويقول إن معارضتكم لجماعة معينة يجب أن لا تؤدي بكم إلى عدم مراعاة العدالة ونسيانها. «إعدلوا».. حتى تجاه المعارض يجب أن تعدلوا. «هو أقرب للتقوى» (2).. هذه العدالة أقرب للتقوى. حذار أن تتصوروا أن التقوى في أن يسحق المرء معارضيه تحت أقدامه، لا، العدالة منسجمة مع التقوى. يجب أن نكون كلنا واعين يقظين. وهذا البعد يجب أن لا يهمل الأبعاد الأخرى.

وكذا الحال بالنسبة للبعد المعنوي. نشكر الله على أن جعلنا من أهل المعنوية والتوسل والذكر والتوجه إليه. مناخ مجتمعنا طافح بالتوجه إلى الله. شهر رمضان في بلادنا شهر جدير بأن يتملاه الإنسان ويطلق النظر فيه، إنه ربيع المعنوية. فشبابتنا الأعزاء يشاركون في جلسات القرآن وفي مجالس الذكر والدعاء مشاركة نورانية

تبعث البهجة والسرور في نفس الإنسان. وفي الأيام المقبلة هناك مراسم الاعتكاف التي يقوم بها شبابنا وهي ظاهرة مذهلة.

في أيام شبابنا في الحوزة العلمية بقم وفي أيام النصف من رجب وهي أيام الاعتكاف المعروفة ربما كان هناك عشرة أو خمسة عشر أو عشرون شخصاً من طلبة العلوم الدينية - وهذا في قطب الحوزة العلمية في قم - يعتكفون في مسجد الإمام. لم يكن هذا الأمر دارجاً مألوفاً. واليوم يهب الآلاف من الشباب الجامعي - بنات وبنين - للاعتكاف في مساجد الجامعات في مختلف أنحاء البلاد فيتعبدون ثلاثة أيام ويتوجهون إلى الله ويتواصلون مع ربهم. هذا ناهيك عن المساجد والمراكز الكبرى التي تقام فيها هذه المراسم. هذه هي المعنوية. بلدنا بلد المعنوية لكن معنويتنا متواكبة ومتناسقة مع الشعور بالمسؤولية. هذه المعنوية يجب أن لا تبعدنا إطلاقاً عن مسؤولياتنا الثورية العظيمة، بل يجب أن تساعدنا على المسيرة الثورية. الذين يحاولون بحجة التدين وتحت يافطة التدين عزل المجتمع عن السياسة وفصل الشباب عن السياسة ومنع الشباب من المشاركة في ميادين البلاد مخطئون ويسيرون في الطريق المغلوط ويعانون الانحراف، لأن هذه الأبعاد متلازمة مع بعضها.

إنني هنا في جوار المرقد الطاهر للإمام الخميني (قدس سره) وبحوار الأرواح الطيبة للشهداء المدفونين في هذه اللجنة المعنوية (بهشت زهرا)² أشهد بأن شعبنا سار في هذا الدرب بصورة جيدة وصان درب الإمام. إنني أرى بعيني وأستطيع أن أشهد أن شبابنا الثوري اليوم إن لم يكونوا أفضل في إيمانهم وتقواهم ومتانة عقيدتهم من الشباب الثوري في بداية الثورة فهم ليسوا بأقل منهم. إنني أشهد من صميم القلب وبضرس قاطع واعتقد أن الشعب مارس أفضل الأدوار، وهو الذي حافظ على القيم وصانها وثبت عليها وصمد من أجلها. الشعب هو الذي أحبط مخططات الأعداء.

لا أريد التحدث عن هذا الجانب بالتفصيل، إذ لا يوجد متسع من الوقت، وربما ليست هذه مناسبة هذا الكلام، لكنني أشير إجمالاً إلى أن أعداءنا كانوا يتصورون أن رحيل الإمام الخميني (قدس سره) بداية انهيار هذا النظام المقدس. كانوا يتوهمون أنه إذا رحل الإمام فسوف يخبو هذا المشعل تدريجياً وسوف ينطفئ هذا المصباح شيئاً فشيئاً. لكن مراسم تشييع جثمان الإمام وتلك المشاعر والتحرك الشعبي العظيم في دعم العمل الذي قام به مجلس خبراء القيادة بث في نفوسهم اليأس، فوضعوا مخططاً لمدة عشر سنوات - وهذا تحليلي ولا يعني الإطلاع، إنما هو تحليل تثبته لنا القرائن - وكانوا يتأملون أن يؤتي ثماره بعد عشرة أعوام. ووقعت في عام 78 تلك الأحداث وكان الذي أحبط تلك الأحداث هو الشعب. نزل الشعب في يوم الثالث والعشرين من تير

² مقبرة جنة الزهراء.

سنة 78 إلى الشوارع وأحبط في يوم واحد مؤامرة الأعداء التي خطط وبرمج لها طوال سنوات. ومضت تلك الفترة. وكانت الموجة الثانية مخططاً لمدة عشرة أعوام أيضاً يستمر حتى سنة 88. ولاح لهم أنهم سيجدون فرصة معينة. وتوهموا أنهم مهدوا الأرضيات، وكان لدى الناس مطالب - الناس المرتبطين بالنظام والأوفياء له - وظنوا أن بوسعهم استغلال تلك المطالب، لذلك وقعت أحداث سنة 88 وأشعلوا الاضطرابات لمدة شهرين أو ثلاثة في طهران - طبعاً في طهران فقط - استطاعوا إشغال القلوب والأذهان لمدة شهرين أو ثلاثة. وهنا أيضاً نزل الشعب إلى الساحة. بعد أن ظهرت السرائر والبواطن شاهد الناس في يوم القدس ما هو مكنون قلوب هؤلاء، وفي يوم عاشوراء أدرك الناس ما هي أعماق مطالبهم وما يريدونه، فنزل شعبنا العزيز إلى الساحة وخلقوا ملحمة التاسع من دي. لا في طهران وحسب بل في كل أنحاء البلاد نزل إلى الساحة الملايين من أبناء الشعب في التاسع من دي، ثم نزلوا إلى الساحة بعد مدة وجيزة جداً في الثاني والعشرين من بهممن وأهوا الفتنة والشغب. هذه هي ميزة الشعب وقدرته، فسلام على شعب إيران. سلام على شعب إيران المؤمن المناضل الواعي ذي البصيرة. وبتوفيق من الله سيواصل الشعب إن شاء الله هذا الطريق وهذا الخط وهذه الأهداف وهذه العزيمة والهمة إلى آخر المطاف.

ولحسن الحظ فقد آتت حركة الشعب العظيمة ثمراتها. بفضل الثقة التي أبدأها الشعب بمسؤولي البلاد وبركة الأمن الذي وفره تواجد الشعب ومشاركته في كل أرجاء البلاد استطاع المسؤولون تطوير خدماتهم وتوسيعها والقيام بأعمال كبيرة، وتم إرساء بني تحتية عظيمة في البلد وهي الشرط اللازم لتقدم أي بلد. إنها مشاريع البنى التحتية التي يتم إنجازها راهناً الواحد تلو الآخر، والناس يرون ذلك، وسيشاهدون ثمار ذلك إن شاء الله على المدى القريب والبعيد. بفضل هذا الأمن الذي توفر عن طريق مشاركة الناس وتواجدهم تُحبط مؤامرات الأعداء الأمنية ومؤامراتهم الإعلامية. وبفضل هذا التواجد الشعبي ارتقى التطور العلمي والتقني للبلد إلى مستويات عالية. وفقاً للإحصائيات الدولية - وليس إحصائياتنا نحن - وفقاً للحسابات الدولية التي تعلن رسمياً فإن سرعة التقدم العلمي في بلادنا حالياً أكثر من المتوسط العالمي بأحد عشر أو إثني عشر ضعفاً. وهذا ليس بالشيء القليل. هذا ما يقوله معارضونا ويعلمه أعداؤنا. لقد تقدم شبابكم العلماء اليوم في أكثر من عشرة حقول علمية وتقنية مهمة إلى درجة أضحت معها بلادكم ضمن البلدان العشرة الأولى في العالم في هذه الحقول. هذا كله ببركة مشاركة الشعب وتواجده. هذا التواجد وهذه الثقة المتبادلة وهذا الشعور بالمسؤولية العامة أحوال كلما استمرت كلما ازداد تقدم البلاد. هذا هو خط الإمام.

وأذكر عدة نقاط حول قضايا المنطقة. أولاً ما حدث في منطقة شمال أفريقيا ومنطقتنا إنما هي أحداث مهمة وتاريخية للغاية. ما حدث في مصر وما حدث في تونس وهذه الصحوة العظيمة التي قامت في البلدان الإسلامية

من الأحداث التي ربما لا تحدث إلا مرة واحدة كل قرنين أو ثلاثة قرون. إنها من الأحداث المهمة والمؤثرة جداً والصانعة للتاريخ. طبعاً نجح الشعب المصري ونجح الشعب التونسي. وكان انتصار الثورة المصرية خصوصاً انتصاراً متألّفاً جداً وعملاً عظيماً جداً. في بلدان أخرى مثل ليبيا واليمن والشعب البحريني المظلوم لا تزال عمليات النضال والكفاح جارية، ولكل حالة حكمها الخاص. هناك أيضاً محكوم على تحركات الشعوب بالانتصار، وقد تكون القضية عاجلة أو آجلة لكنها لن تفشل ولن تحقق. حينما يستيقظ الشعب ويشعر بالقوة والاقتدار فلن يستطيع شيء سد طريقه. طبعاً أعداء الشعوب المسلمة - أي نظام الهيمنة والشیطان الأكبر أمريكا والصهيونية الغادرة الحيوانية الطباع - ينشطون ويبدلون جهودهم ويريدون الحيلولة دون أن تشعر الشعوب المسلمة بحلاوة هذه الانتصارات وتصل إلى النصر النهائي بالمعنى الحقيقي للكلمة. لكننا نحن الشعوب المسلمة إذا كنا يقظين وأصغينا لنداء القرآن الكريم الذي يدعونا للصبر والاستقامة والثبات ويث فينا الأمل، ولم نسي الظن بالله تعالى، وعقدنا الأمل على الوعود الإلهية، وعملنا لها وسعينا فلا شك أن هذه الشعوب سوف تصل للنصر. طبعاً سياسة الدول الغربية في ما يخص ليبيا هي إضعاف هذا البلد وامتناع دمها وأن تستمر الحرب الداخلية حتى لا يبقى للبلد رفق، كي يأتوا هم بعد ذلك إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة ليمسكوا بزمام الأمور في هذا البلد الحساس. أولاً ليبيا بلد غني بالموارد النفطية، وثانياً قريب جداً من أوروبا. لذلك فهو مهم جداً بالنسبة للمستكبرين العالميين وأمريكا والبلدان المستكبرة في أوروبا الغربية. ولا يريدون التخلي عنه بسهولة إنما يريدون إضعافه. ولو تركوا هذا البلد لحاله لاستطاع الشعب التغلب ولتولت حكومة شعبية إسلامية زمام الأمور، وكان هذا خطراً بالنسبة لهم. لذلك يريدون الحيلولة دون وقوع ذلك.

والحال في اليمن شبيهة بذلك. اليمن هي أيضاً ذات أهمية إستراتيجية؛ مهم من حيث مجاورته لبعض البلدان المرتبطة بأمريكا ومن حيث الجغرافيا السياسية. هناك أيضاً لا يريدون للشعب أن ينتصر. سياسة أمريكا والغرب في هذين البلدين هي أن لا ينتصر الشعب.

والشعب البحريني يعيش مظلومية مطلقة. هناك أيضاً يريدون الإعلان عن حركة الشعب باعتبارها حركة طائفية مذهبية لجرد أن الشعب من الشيعة، والحال أن القضية ليست كذلك. طبعاً الشعب البحريني شيعي وقد كان شيعياً على امتداد التاريخ، الأكثرية فيه شيعية، بيد أن القضية ليست قضية شيعة وسنة. القضية هي أن هذا الشعب مظلوم ومحروم من أبسط حقوق المواطنة في بلده وعلى أرضه. إنه شعب يطالب بحقه، يطالب بحق التصويت والاقتراع ويقول نريد تمكيننا من التصويت وأن يكون لنا دور في تشكيل الحكومة. وهذه ليست جريمة إنما هي حق مشروع. وإذا بالأمريكان الكاذبين المرائين المخادعين الذين يتشدقون بحقوق

الإنسان ومزاعم الديمقراطية يتصرفون بتلك الطريقة ضد الشعب البحريني. هم ينكرون الأمر طبعاً، ويقولون لسنا نحن المسؤولين إنما هم السعوديون، لكن السعوديين لم يكن بإمكانهم الدخول إلى البحرين وارتكاب تلك الأعمال الدامية المريعة من دون ضوء أخضر من أمريكا. لذا فالأمريكان هم المسؤولون.

أذكر بضع نقاط والوقت قد أدركنا. النقطة الأولى هي أن الميزة الأساسية في التحرك الشعبي في هذه البلدان تشمل على ثلاثة أمور: الأمر الأول هو إسلامية التحرك، والأمر الثاني مناهضته لأمريكا والصهيونية، والأمر الثالث هو طابعه الشعبي. هذه المميزات مشتركة في جميع هذه البلدان. الشعب المصري وهو شعب متميز في العالم العربي والإسلامي شعب أطلق هذه النهضة وأشعل هذه الثورة في بلده وهي ثورة إسلامية وشعبية ومناهضة لأمريكا والصهيونية بصراحة. وكذا الحال بالنسبة لباقي البلدان.

موقفنا حيال هذه التحركات الشعبية واضح. إننا نواكب أية حركة إسلامية شعبية مناهضة لأمريكا، ولكن إذا وجدنا حركة تقف وراءها أمريكا وتحرضها الصهيونية فسوف لن نواكبها طبعاً. إننا نواكب التحركات المناهضة لأمريكا والصهيونية. أما حينما تتدخل أمريكا نفسها والصهيونية نفسها لتسقط نظاماً معيناً أو لتحتل بلداً معيناً فسوف نقف على الضد من تحرك الأمريكان. لا تستطيع أمريكا أن تفكر وتعمل شيئاً لصالح شعوب هذه المنطقة. كل ما يفعلونه وكل ما فعلوه إلى اليوم كان ضد شعوب هذه المنطقة. هذا هو موقفنا.

النقطة الثانية: هي أن على هذه البلدان التي انتصرت والحمد لله - وخصوصاً مصر وهو بلد كبير وله تراث إسلامي ومعنوي وثقافي ثر - أن تحذر من أن يعود من الشباك العدو الذي خرج من الباب. هذه المساعدات التي يقال إن أمريكا قد تمنحها لمصر أو لأي بلد آخر هي بحد ذاتها سبب في المشاكل. الأمريكان يكرسون هيمنتهم على البلدان عن طريق هذه المساعدات والدولارات، ويفرضون توقعاتهم ومطالباتهم، ويعيدون الشعب الذي حقق الحرية إلى قبضة اقتدارهم الظالم من جديد.

على الكل أن يتحلى باليقظة والحذر. والشعب المصري يقظ طبعاً. هذه الحركة العظيمة التي قام بها الشعب المصري اعتراضاً على موقف النظام المصري السابق بخصوص فلسطين وغزة ومعبر رفح كانت حركة قيمة جداً ويجب أن تستمر. مصر بلد مؤثر في العالم العربي، لذلك توجه إليها الذين أرادوا تركيع البلدان العربية أمام الكيان الصهيوني الغاصب، وفرضوا معاهدة كامب ديفيد المخزية. وبعد القبول بمعاهدة كامب ديفيد في مصر استسلمت البلدان العربية الأخرى تدريجياً وخضعت لأمريكا وخرجت القضية الفلسطينية تماماً من دائرة قرار البلدان العربية، يجب أن يحذروا. فالأعداء لهم حساسيتهم تجاه مصر. ذات يوم عاد الغريون

والاستكبار المطرود بعد فترة جمال عبد الناصر، وينبغي عدم تكرار هذه التجربة في مصر. الشعب المصري يقظ وواع ونرجوا أن يعينهم الله في هذه المجال.

النقطة الأخرى هي أن أعمال القمع هذه لا طائل من ورائها. فالشعوب حينما تستيقظ وتعرف قدراتها سوف تتابع السير في هذا الطريق، وسوف تنتصر إن شاء الله تحركات شعوب المنطقة سواء في البلدان التي تشهد اليوم تحركات معينة، أو البلدان التي توجد فيها هذه التحركات بنحو كامن. الشعوب في هذه البلدان سوف تنتصر ولكن ينبغي الحذر من ممارسات التفرقة التي يقوم بها الأعداء. الأعداء اليوم يسعون لبث الفارقة والشقاق في مصر وفي تونس وفي شمال أفريقيا وفي باقي البلدان الإسلامية. ولأن إيران قطب التحرك ضد الاستكبار يريدون على وجه الخصوص أن يفصلوا بين إيران الإسلامية وباقي البلدان. يخلقون فواصل قومية ومذهبية. يريدون زرع التفرقة في داخل تلك البلدان نفسها. في مصر اليوم أفراد من هذه الجماعات التكفيرية والوهابية يحاولون زرع الخلافات بين الناس بذرائع شتى. وينبغي الحذر واليقظة حيال هذه المساعي الرامية إلى التفرقة والشقاق.

وموقفنا إزاء فلسطين أيضاً موقف واضح. نعتقد أن أرض فلسطين وبلد فلسطين كله ملك للفلسطينيين. أخطأ الذين حاولوا محو خارطة فلسطين من الجغرافيا، فمثل هذا الشيء لن يقع، وفلسطين باقية. اغتصبها المغتصبون لعدة عقود لكنها ستعود دون شك للشعب الفلسطيني ولأحضان الإسلام، وهذا ما سيحدث. والشعب الفلسطيني بدوره يقظ. وفلسطين لا تقبل التجزئة. فلسطين كلها ملك للفلسطينيين. وقد أعلنت الجمهورية الإسلامية منذ سنوات طريق الحل. طريق حل القضية الفلسطينية ليس طرق الحلول التي يريدونها الأمريكيان وأمثالهم، فهذه الطرق لن تؤدي إلى شيء. الحل هو أن يقام للشعب الفلسطيني استفتاء، وأي نظام يختارونه في الاستفتاء يجب أن يحكم كل فلسطين. ثم يقررون هم كيف يتعاملون مع الصهاينة الذين دخلوا فلسطين من خارجها، فهذا أمر يرجع للنظام الذي يتشكل بأصوات الشعب الفلسطيني.

اللهم انصر الشعوب المسلمة، الشعب المصري، والشعب التونسي، والشعب الليبي، والشعب اليمني، والشعب البحريني، والشعب الفلسطيني المظلوم، انصرهم بعنايتك ورعايتك نصراً مؤزراً تاماً. اللهم ضاعف من بركاتك على الشعب الإيراني العزيز. اللهم اشمل بنعمائك الروح المطهرة لإمامنا الجليل وأرواح الشهداء الطيبة في أعلى مقاماتك. واشملنا بالأدعية الزاكية لسيدنا بقية الله الإمام المهدي المنتظر (أرواحنا فداء).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

1 - مفاتيح الجنان، أعمال الأول من شهر رجب.

2 - سورة المائدة، الآية 8 .